مظاهر الحضارة العربية في معجم المخصص لابن سيده الأندلسي .

الدكتور أحمد خطاب العمر
استاذ مساعد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

اهتم العرب بلغتهم فأخذوها نقلا عن الاعراب شفاهاً ، ثم احتاجوا لأن يحفظوها مسجلة خوف التغيير والضياع ، وقد نقلوا في هذا كثيراً من غريب اللغة ، فأرادوا تفسيره وتقريب معانيه ، فرجعوا الى لغة العرب يطلبون شرح ذلك للغريب ، ومن أولى المحاولات في ذلك محاولة الامام ابن عباس المتوفى(سنة ٦٥هـ) ، ففسر ذلك الغريب بما استحضره من الشعر الجاهلي ، ثم جمع ابو عمرو بن العلاء شعر العرب ولغتهم ، الى ان استطاع الخليل بن الفراهيدي المتوفى سنة (١٧٥ هـ) أن يجمع تلك اللغة ويبوبها في كتابه «العين» بطريقة منطقية إذ رتب كتابه على الحروف العربية مبتدئاً بحروف الحلق : العين والحاء .. الخ ومستخرجاً من كل أصل ثلاثي خمسة أصول أخرى فمادة (جبر) مثلا قلبها الى: جرب وربج ورجب وبجر وبرج .. واذا لم يجبر لأصل من تلك الأصول استعمالا في لغة العرب ، أهمله وكتب عليه انه غير مستعمل . ثم تبعه كثيرون بطريقته تلك – على اختلاف بينهم في المناهج – وهذه هي الطريقة الأولى في النظام المعجمي العربي ، ثم تأتي طريقة الحرف الأخير في الكلمة وعليها الصحاح واللسان ، والطريقة الثالثة هي طريقة الحروف الهجائية : أ ، ب ، ت ، ث .. الخ وعليها أساس البلاغة ومختار الصحاح .

أما الطريقة الرابعة وهي طريقة توزيع الألفاظ على المعاني ، وهي وان كانت قديمة وللعلماء الأوائل وضعوا كتباً فيها ، مثل كتب خلق الانسان ، وكتب الخيل ، وكتب النبات ، فان هذه الطريقة متبلورة تتمثل حياة الانسان بتفاصيلها عند الثعالبي في فقه اللغة ، وعند ابن سيدة في المخصص الذي سنعرضه هنا :

فالمعجم تسجيل لحياة الناس بكل تفاصيلها ، فالكلمات المفسرة فيه ، إنما هي مستنبطة من لغة الناس المعبرة عن حاجاتهم اليومية فدراسة الألفاظ لها قيمتها في اعطاء تصور عام عن حي العصر الذي وضعت فيه ، وبسبب تطور الحياة تظهر المستدركات على المعجمات فتثبت كلمات لم يذكرها المتقدم ، أذ قد نقلها ناس ذلك العصر عن غيرهم ، أو اشتقوها من كلمات أخرى ، او ولدوها على أسس الكلام العربي ، ولهذا اتصفت العربية بأنها لغة متطورة وقابلة للنمو عن طريق : الاشتقاق والتعريب والتوليد والنحت ، ولهذا أيضاً قد تموت كلمات كان الناس يستعملونها في عصر متقدم تبعاً لتطور الحياة .

فنستطيع إذن أن ندرس حياة الناس في الأندلس في القرن الخامس للهجرة – وهو العصر

الذي وضع فيه هذا المعجم – ونتلمس الخطوط العامة لها بكل تفاصيلها ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على المظاهر الحضارية العربية في الأندلس .

المؤلـــف :

هو علي بن أحمد وقيل اسماعيل وقيل محمد أبو الحسن المعروف بابن سيدة ، أثبت ياقوت أحمد ، وقال : واعتمدنا على ماذكره الحميدي لان كتابه أشهر. (١)

ولد في مدينة مرسية في شرق الأندلس ، وكان ضريراً وأبوه كان ضريراً أيضاً .

أخذ عن أبيه وعن أبي صاعد البغدادي ، وعن أبي عمر الطلمنكي . وكان حافظاً ، ولم يكن في زمانه أعلم منه في النحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها (٢)، وذكر ياقوت: (٣) نقلا عن القاضي الجياني أنه « كان من أتقانه لعلم الأدب والعربية متوفراً على علوم الحكمة ، وألف فيها تأليفات كثيرة ، ولم يكن في زمنه أعلم منه في النحو واللغة والأشعار وأيام العرب . ومما يروى في قوة حفظه ماذكره الطلمنكي قال (٤) : دخلت مرسية فنشبث بي أهلها يسمعون عليّ غريب المصنف ، فقلت لهم انظروا لي من يقرأ لكم ، وأمسك أنا كتابي ، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيدة فقرأه علي من أوله إلى آخره ، فتعجبت من حفظه ، إلا أن السهيلي يطعن فيه (٥).

ويذكر (٦) أنه كان منقطعاً للأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري ، ثم تغير عليه وهرب إلى بعض الأعمال المجاورة لأعماله وبقي بها سنة ثم استعطفه بقصيدة أولها:

---

(١) تنظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي ص ٣١١ ، والصلة لابن بشكوال ق٢ص٤١٧ ، معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ٨٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٣٣٠ ، لسان الميزان ابن مجر ج ٤ ص ٢٠٥ ، بغية الوعاة للسيوطي ج ٢ ص ١٤٣ ، الاعلام للزركلي ج ٥ ص ٦٩ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٣٠

(٣) معجم الأدباء ٥/٨٥ .

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٣٠

(٥) لسان الميزان ٤/٢٠٥

(٦) بغية الملتمس ص ٤٠٥ ، ٤٠٦

ألاهـل إلى تقبيـل راحتـك اليمـــــنى سبيـل فإن الأمن في ذاك واليمنا

ثم توفي في دانية عشية يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٨هـ وقيل ٤٦٠ هـ وذكر أيضاً ٤٤٨هـ وعمره ستون سنة (١).

كتبـه (٢) :

١ – العالم والمتعلم على المسألة والجواب .

٢ – العالم في اللغة على الاجناس في غاية الايعاب : قال عنه ياقوت : «نحو مئة سفر بدأ به في الفلك وختم بالذرة »

٣ – شاذ اللغة في خمس مجلدات :

٤ – العويص في شرح اصلاح المنطق

٥ – شرح كتاب الأخفش

٦ – شرح ماأشكل من شعر المتنبي:

٧ – الأنيق في شرح حماسة أبي تمام في ستة مجلدات .

٨ – أرجوزة على حروف المعجم :

٩ – كتاب شرح أبيات الجمل للزجاجي :

١٠ – الوافي في علم أحكام القوافي :

١١ – المحكم والمحيط الأعظم في ثمانية عشر جزءاً .

١٢ – المخصص في سبعة عشر مجلداً .

منهجه في الكتاب :

سجل الكتاب في فترة متقدمة من فترات تاريخ أمتنا ، وفي أرض منعزلة عن أرضنا ، ولكن الحضارة التي أرست أمتنا أسسها كانت حضارة رائعة . وهي مازالت آثارها قائمة تشهد على قدرة أولئك الذين شيدوها ، واستجاب الناس هناك لها ، فقبلوها أحسن قبول بحيث اندمجوا مع الشعب العربي اندماجاً كلياً ، وصارت اللغة المعبرة عن هذه الحضارة هي اللغة العربية فقد وصفت كل ماحملته هذه الحضارة ، واستجابت لكل جديد : ولهذا أضافت إلى ألفاظها مالم تكن تستعملها من قبل : ولها من قابليتها على التطور عون ومساعد عن

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٣٠

(٢) كتبه في وفيات الأعيان ٣/٣٣٠ ، انباه الرواة ٢/٢٢٦ ، معجم الأدباء ٥/٨٥

طريق الاشتقاق والتوليد والتعريب ، ولهذا ظل أثرها واضحاً في لغات أوربا إلى يومنا هذا .
والمعجم الذي نعرضه هنا يتمثل باللغة التي أحصيناها في مظاهر تلك الحضارة بكل جزئياتها ، فقد تناول فيه حياة الانسان بكل تفاصيلها منذ ولادته إلى وفاته ، ذاكراً مايحتاجه الانسان في كل شأن من شؤون تلك الحياة ، منظماً تلك المعاني بأبواب متجانسة معنوياً أطلق على تلك المعاني لفظ كتاب ، ثم ينطلق بعد ذلك ليدقق في المعاني الدقيقة والكتب هي : كتاب خلق الانسان وكتاب الغرائز وكتاب النساء وكتاب اللباس وكتاب الطعام وكتاب السلاح وكتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الغنم وكتاب الوحوش وكتاب السباع وكتاب الطير وكتاب الانواء وكتاب الدهور والأزمنة والأهوية والرياح وكتاب المكنيات والمبنيات وكتاب المثنيات وكتاب الأضداد وكتاب الأفعال والمصادر وكتاب المقصور والممدود : أما منهجه في تلك الكتب فإنه بعد أن يذكر جزئياته ، يأتي بالكلمات على معان مختلفة ، معبراً عنها بما تحتاجه تلك الكلمة من معنى أو بمرادفاتها ، وأقسام كل جزء منها ، فإذا أحس أن التفسير يحتاج إلى توضيح شرح تلك المعاني بأن يذكر تفاصيل تلك المسائل ، وهو في كل هذا كان ينقل عن اللغويين المتقدمين آراءهم في كل معنى ولهذا نجد أسماء أولئك اللغويين في كل صفحة مثل أبي زيد وأبي عبيد والأصمعي وابن السكيت وأبي حاتم والخليل وابن جني وأبي علي والسيرافي : ويرجع إلى شواهدهم التي كانوا يستشهدون بها كالآية القرآنية والحديث النبوي الشريف وشعر الشعراء الذين يستشهد بشعرهم وأقوال الفصحاء من العرب : ونجد في صفحات كتابه أيضاً الكلمات التي يستعملها أهل وطنه.

فهو حين يتناول الانسان يذكر تراكيب جسده الظاهرة ، ثم يذكر تفاصيل كل جزء غير ظاهر . وتحس وأنت تقرأ كتابه أنه طبيب يشرح جسم الإنسان ، وأنه عالم اجتماعي يصف حياة الانسان تفصيلا : نومه وطعامه وجماعاته وصلاته مع غيره ، وهو عالم فلكي حينما يتناول الطبيعة ،فيصف النجوم وتحركاتها وأثرها على الأنواء ، وهو عالم بالنبات عندما يتناوله فيصف طبقات الأرض وأنواع تربتها وما يصلح منها للزرع وحفظ المياه ، ويذكر ماينبت في الجبل والصحراء أو على شواطئ الأنهار ، ويذكر أمراض النباتات وعلاجها ، وهو عالم بالحيوانات يذكر أسماءها وأنواعها وطرق معيشتها وأمراضها ومعالجتها ، وهو عالم بالفنون يذكر آلات اللهو وأنواع الالحان ويذكر الجرس والايقاع والنغمة .

فالكتاب كما قلنا سجل لمظاهر حضارية رائعة ، عاشتها تلك البلاد على مدى عشرة قرون ، مازال الناس هناك يعرفون للعرب أثرهم وتأثيرهم في بلادهم .

وسنعرض هنا لتلك الملامح موزعة على الموضوعات المتقاربة المعاني ، لندلل على شمولية تلك الحضارة ، ولم نهتم بالترتيب الذي اتبعه ابن سيدة في معظم ماذكر ، فهدفنا في العرض الوحدة الموضوعية في الأبواب التي سنتناولها في المظاهر الحضارية التي نوزعها في صفحات الموضوع اختصاراً .

١ – مظاهر في الطب :

الانسان : لفظ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بصيغة واحدة (١) . ثم ينطلق ليعرض صفات هذا الانسان وتراكيبه فيصف تراكيبه الظاهرية والباطنية كما قلنا ، بذكر الحمل والولادة والرضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التربية ، ويذكر الغذاء السيء وأسنان الأولاد، والرأس فيذكر الشعر قلته وكثافته، وما يعرض للشعر.

ويصف الأذن ويسمّي دقائقها ومنها :(الكفاف وعراق الأذنين والوترة وذباب الأذن والرائقة وعمود الأذن والوتد والصماخ وصحن الأذن وزنمتا الأذن والخرّ).

ويذكر الوجه والعين ويذكر ان في الحدقة الناظر والانسان ، وهو موضع البصر منها الذي تراه كأنه صورة ليس بخلق مخلوق وانما العين كالمرآة اذا استقبلها شيء رأت شخصه فيها لشدة صفاء الناظر (٢) . ويذكر صفات العين وألوانها ، وما يلحق البصر من الاظلام والحيرة والغشية، وسائل أنواع الضعف وما يلحقها من الورم والاحمرار والقذى .

ويذكر في موضع آخر (٣) أبواب الأمراض : انتشار المرض وكثرته والعدوى ووجع الرأس وداء الوجه ووجع العنق والمنكب وأوجاع الحلق والصدر والزكام وأوجاع البطن ووجع المعدة ووجع الكبد ووجع الضلع والقلب وما يغشاه والوجع من النتيجة وهيجان الدم والفالج والخدر والجدري والسل والبرص والجذام والجراح والقروح ومرض النوم والغدد والورم والخراج وكسر العظام وجبرها.

---

(١) المخصص ١/١٥—١٠٨

(٢) المخصص ١/٩٣ – ٩٤ .

(٣) المخصص ٥/٦٤ – ١٠١ .

ويذكر أسباب عدد من تلك الأمراض ويصف دواءها قال مثلاً : والقبص (١) : وجع يصيب الكبد عن ان يؤكل التمر على الريق ثم يشرب عليه الماء.

٢ – مظاهر في الزراعة :

نلمح في هذا الباب مظاهر متعددة فاننا نجده يهتم بأول أسباب الزراعة (٢) فيذكر الأمطار ويذكر علامات الأمطار في السنة، ومعرفة الناس بالسحاب الممطر وغير الممطر ، ويذكر السحاب ذا الماء الكثير ، والذي لاماء له . ويذكر هبوب الأرواح للسحاب ، ومن امارات الغيث ، الهالة التي تكون حول القمر فان كانت كثيفة مظلمة كانت من دلائل المطر ، ومنها الندأة وهي الحمرة التي تكون عند مغرب الشمس ، ثم يذكر الرعد والبرق والثلج والبرد والسيول والقناطر والجسور وآلات الاستسقاء كالنواعير والدالية والدولاب والبكرة : فالبكرة : (٣) هي التي يستقى عليها ، وهي خشبة مستديرة في وسطها محز للحبل ، وفي جوفها محور تدور عليه ، وقيل هي من حديد ، ومن أنواعها : محالة ، وفوهاء وطويلة الاسنان والدموك .

والدالية : (٤) جذع طويل يركب تركيب مداق الأرز وفي رأسه مغرفة عظيمة مغيرة من خوص أو بواري تأخذ ماء كثيراً ويجعل ما يلي المغرفة من الجذع أقصر وهو هادية ومقدمه بقدر ما يبلغ الماء اذا انحط ، ويجعل مؤخره أطول فيركبه الرجال مشياً عليه ، فاذا صاروا الى مؤخر الجذع ارتفع مقدمه فاذا أزى بالازاء وهو مهراق المغرفة كفأها رجل قائم على الازاء فمضى الماء في الجدول الى المزرعة،ونزل الرجال من الجذع فانحطهاديه الى الماء لأنه أثقل من مؤخره ثم يعود الرجال الى ركوب الجذع :

والدولاب: (٥) هي التي تدور دور الشهرق – شهرق الجفار – وعلى قراها مسدان كل مسد مجموع طرفاه ،وقد ربطت بينهما كيزان كالدلاء الصغار من خوص قد قيرت، ويقال لتلك الكيزان العصاميروهما مقدران على قدر بعد الماء من موضع مصعب تلك الدلاء فاذا دار الدولاب أصعد الدلاء من جانب وهبطت التي تقابلها من الجانب الآخر

---

(١) المخصص ٧٨/٥

(٢) المخصص ٦٢/٩ .

(٣) المخصص ١٦٨/٩ .

(٤) المخصص ١٦٢/٩

(٥) المخصص ١٦٣/٩ .

فاغترفت الفارغة ، وعلت المملوءة ، فاذا علت فرأ الشهرق ، وهمت بالانتكاس أفرغت فيها في جدول من خشب تدور عليه المنجنون،وتدير المنجنون الأبل أو البقر أو الحمير. ويذكر أسماء التراب (١) وما يزرع في كل أرض وفي الجبال وفي الصحاري ، ثم تناول إصلاح الأرض وحرثها ، وآلات الحرث والحفر ، ووصف أنواع الشجر وتوريقها وتنويرها وسقوط أوراقها،وأسماء أصولها وأعاليها،والعيب في أعوادها وقشر رحاء الشجر وطريقة قطعه ، وآفات الزرع ، ثم يذكر في باب الفاكهة وأنواعها : العنب ويذكر ما يستخرج منها فيذكر آنية الخمر وصمام الآنية وسدادها ويذكر المزاج والتصفية ويذكر الأنبذة التي تتخذ من التمر والحب والعسل وطريقة شرب الخمر ومداومة الشراب والعربدة والدبيب والسكر ، ويذكر النخل وزرعه ونعوت سعفه ولقاح النخل وحمل النخل وسقوط حمله ومعالجة التمر للارطاب والايباس ثم يذكر التفاح والخوخ والجوز واللوز والفستق والرمان . ويذكر استعمال الطبيب وآلاته وأوعيته وعمله ويذكر النباتات التي يصطبغ بها ويختضب ثم يذكر الخيار والبصل والعقاقير .

٣ – مظاهر في علم الحيوان :

تناول الحيوانات بتفصيل فخصص لها كتباً متعددة ، كتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الغنم وكتاب الوحوش وكتاب السباع وكتاب الطير (٢) .

وينقل تفاصيل حياة الحيوان والأمراض التي تصاب بها وأدواءها ففي كتاب الخيل (٣) يبدأ بحملها ونتاجها وأسنانها وخلقها وما يستحب منها وما يكره وألوانها وشعورها ونعوتها من قبل شدتها وعظمتها ومن حيث توسط خلقها ودمامتها . ونعوتها من قبل حسنها وعيوبها وادوائها ونعوتها في مشيها وفي الجري ونعوتها في عرقها وباب الطنق ونعوتها من قبل عنفها وهجنتها وسوابقها وركوبها وركضها والحران وزجرها ومحابسها واكرامها واهانتها وعلفها وذكر مشاهير فحول الخيل في الجاهلية والاسلام.

---

(١) المخصص ٦٢/١٠ .

(٢) المخصص ١٣٥/٦ ، ٢/٧ ، ١٧٦/٧ ، ٢١/٨ و ٧٨/٨ و ١٢٤/٨ .

(٣) المخصص ١٣٥/٦ – ٢٠٥ .

ومن أمراضها (١) :الانتشار :وهو انتفاخ في العصب من الاتعاب. والسرطان :داء يأخذ في الرسغ فييبس عروق الرسغ حتى يقلب حافره.
والمشش :شيء يشخص في وظيفته حتى يكون له حجم ليس له صلابة العظم الصحيح.
والقمع :غلظ يكون في احدى ركبتي الفرس.
والنحطة :داء يصيب الخيل في صدورها لا تكاد تسلم منه.
ولم يترك ما في البحر من الصدف والحيتان والسلاحف والضفاع فذكرها وذكر كثيراً من تفاصيل حياتها.

٤ـ مظاهر علمية في الفلك :

ذكر في هذا الباب في (كتاب الأنواء) (٢) فقد ذكر اسماء المنازل وصفاتها والبروج وفي الأنواء ذكر طلوع النجوم وصفة الشمس وأسماءها وذكر كسوفها وغروبها ، وذكر القمر وأسماءه وأسماء أيام الشهر ولياليه، وذكر نعوتها في كل أيام السنة، وحينما استشهد بقوله تعالى «رب المشارق والمغارب» قال في تأويله :لماذا جمعوه ؟ قال : لأنه أريد أنها كل يوم تشرق من موضع، وتغرب في موضع إلى انتهاء السنة .» ثم تناول في كتاب الدهور (٣) والأزمنة والأهوية والرياح كل ما يتعلق بذلك . لينتقل إلى ذكر الأمطار وتكوينها كما ذكرنا سابقاً.

٥ـ مظاهر اجتماعية :

تناول في هذا الباب حياة الانسان بكل تفاصيلها وذكر ما عليه الناس وما يحتاجونه : وسنستعرض تلك المظاهر لندلل على ان ابن سيده لم يهمل هذا الجانب :

أ ـ في العلم او الجهل :

ذكر المعرفة الانسانية (٤) وأثرها في حياة الناس وذكر العلم وحبب في طلبه:
فذكر في ذلك الكتاب وآلاته (٥)، فالمكتب :الذي يعلم الكتابة، والمكتب والكتاب:

---

(١) المخصص ١٦٣/٦ — ١٦٤ .
(٢) المخصص ٢/٩ — ٣٥ .
(٣) المخصص ٦٢/٩
(٤) المخصص ٢٨/٣ — ٢٩ .
(٥) المخصص ٤/١٣ ، ٥ .

موضع تعلّم الكتاب، والمدارس :الموضع الذي يدرس فيه، والترقيش : الكتابة والتسطير في الصحف، وترقين الكتاب :تزيينه، ورقن الكتاب :قارب بين سطوره والتباشير : كتاب للغلمان في الكتاب، والكراسة : سميت بذلك لتكرسها أي انضمام بعضها إلى بعض: وقسم العلم فقال فيه : ما يعلم ببداته العقول والحواس كالقضايا المنقسمة إلى اربعة أقسام :وهي المعقول كقولنا :العقل مدرك لما أعمل فيه ، والمحسوس كقولنا : الشمس طالعة أو غاربة، والمشهور كقولنا :شكر المنعم حسن وكفره قبيح وان بر الأبوين لازم ، والمقبول :وهي القضية التي تؤاخذ عن واحد ثقة مرتضى : أو جماعة ثقات مرتضين فهذا كله من المقدمات التي حصلت في النفس من غير بحث ولا قياس:

وذكر الجهل (١) وضعف العقل والحمق وذكر ذمه وقسم الجهل إلى أقسام فقال من ذلك : الرّهق : جهل في الانسان وخفة في عقله ولا فعل له ، والابهم : الذي لايعي شيئاً ولا يحفظه والانثى بهماء ، وقيل هو الثبت العناد جهلاً لايريع الحجة ولا يتم رأيه اعجاباً ، والحمق : ضد العقل ، والاعفك : الاحمق الذي لايثبت على حديث واحد ولا يتم واحداً حتى يأخذ في غيره ، وقيل هو الأخرق الذي لايحسن العمل :

ب- ألاعيب الناس ولهوهم :

تناول في هذا مايلعب به الناس (٢) وخاصة أطفالهم ، ثم يذكر أنواع الفنون وآلات الطرب والغناء :

فمن ألاعيبهم : المقلاء والمقلة : عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذي يضرب به هو المقلاء ، والمقلة الخشبة الصغيرة التي تنصب :

والمطنة والمطخة : خشبة عريضة يدقق أحد رأسيها يلعب بها الصبيان نحو القلة : والطث: ضربك الشيء بيدك حتى تزيله عن موضعه ، والمغثة : خشبة مستديرة على قدر قرص يلعب بها الصبيان يأخذون عوداً في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم:

والجماح : شيء يتخذ من الطين أو التمر والرماد فيصب وتكون في رأس المعراض يرمى به الطير : وقيل هو سهم يجعل على رأسه طين كالبندقة يرمي بها الصبيان البندقية :

---

(١) المخصص ٣/٣٥ - ٤٦ .

(٢) المخصص ٣/١٦ - ١٩

والمنجار : لعبة للصبيان يلعبون بها وقال : تجامح الصبيان رموا كعباً بكعب حتى يزيله عن موضعه :

والبرحيا والحجورة : لعبة يلعب بها الصبيان يخطون خطاً مستديراً ويقف فيه صبي ويجتمع فيه الصبيان ليأخذوه .

والخذروف : طين يعجن ويعمل شبيهاً بالسكر يلعب به الصبيان .

والخذروف : عود مشقوق يفرض في وسطه ثم يشد بخيط ويمد فيسمع له حنين وهو الذي يسمى الخرارة :

والكرة معروفة وهي التي يلعب بها وكل ماأدرت من شيء كرة وقد كروت بها.

والميجار : الصولجان الذي تضرب به الكرة ، ويقال : مقطت الكرة مقطاً ضربت بها الأرض ثم أخذتها .

ويقال : تجاحف الفتيان الكرة بينهم بالصوالجة تدافعوها أخذاً

والسحر : شيء يلعب به الصبيان إذا مدّ من جانب خرج على لون ، وإذا مدّ من جانب آخر خرج على لون آخر مخالف وهي السحارة .

وذكر من ذلك : الدكر وعظم وضاح والدركلة وقلوبع والطريدة وخراج وعرعار والجناباء والجنابي والهلباب والهباط والشطرنج والنرد .

جـ ـ عنايته بالأصوات وآلات الطرب :

ذكر الأصوات (١) فعرف النغمة وقال عنها : وهي جَرْس الكلام وحسن الصوت في القراءة وغيرها :

والرنيم والترنيم والترنم : أن يخفي صوته ويطرب بعض التطريب :

والترجيع : ترديد الصوت في الغناء والقراءة وغيرها ونحوها.

والشدو : مد الصوت بغناء أو غيره :

والزجل : الصوت يرتفع وربما أوقع الزاجل على الغناء.

ومنه العزف والعزيف : وهو صوت في الرمل لايدرى ماهو وقد يقال : انه وقوع بعضه على بعض :

---

(١) المخصص ١٤٢/٢ ، ١٤٣ .

والهزج : صوت مطرب وقيل صوت فيه بحح وقيل صوت دقيق مع ارتفاع وقد تقدم في خفة الكلام وسرعته .

والرنة والرنين والأرنان : الصوت الحزين عند الغناء والبكاء وقيل هو الصوت الشديد.

واللحن (١): من الأصوات المصوغة الموضوعة والجمع ألحان ولحون

والايقاع : حركة متساوية الأدوار بها عودات متوالية ، واللحن صوت ينتقل من نغمة إلى نغمة أشد أو أحط

والطبقة : حد مختار للصوت ينبغي أن توضع الالحان فيما شاكلها من الأشعار فمنها ما يبكي ويرقق ، وهو لما كان من الشعر في الغزل والتشوق إلى الوطن ، والبكاء على الشباب والمراثي والزهد ، ومنها مايطرب وهو لما كان في نعت الشراب وذكر الندماء والمجالس والصبوح والدساكر ، ومنها مايشوق وترتاح له النفس مثل صفة الاشجار والزهر والمتنزهات والصيد ومنها مايسر ويفرح ويحث على الكرم وهو لما كان في المديح والفخر وصفة الملك . ومنها مايشجع لما كان في الحرب وذكر الوقائع والغارات والأسرى وغير ذلك ، وهذا كله يدعى غناء .

ونقل عن أبي طالب قوله (٢): وللألحان لصوص يسرقون النغم كلصوص الشعر ، فمن الشعراء المفتضح كالسارق للقصيدة والبيت كله . ومنهم دون ذلك كالسارق للكلمتين والثلاث ، والسارق للمعنى ويكسوه كلاماً آخر : وكذلك المغنون فمنهم السارق المفتضح الذي يسرق اللحن كما هو وينقله إلى شعر آخر كفعل الطنبوريين في زماننا هذا وغيرهم من مضاربي أصحاب العيدان ومنهم من يسرق بعض اللحن بصفة له أو صبيحة منه أو ردة أو نشيد ، ومنهم من تخفى سرقته مثل من يسرق تأليف لحن في الثقيل الأول وينقله إلى ايقاع آخر ، إما ثاني ثقيل أو رمل أو هزج ، ومنهم من يجيء إلى ثلاثة أصوات أو أربعة في الثقيل الأول على أصبع واحدة فيسرق جزءاً من هذا وجزءاً من هذا ، وصبيحة من هذا وردة من هذا ، فيصوغ صوتاً من أصوات ، ويكون في ذلك مثل من ينظم عقداً من جوهر ليس له منه غير حسن التأليف والنظم ، وهذا هو الذي يسمى الموشى .

وذكر من آلات الطرب (٣) : الصنج والعود والمزهر والعرطبة والكنارات والدفوف والطنبور والدربج والون والقنين والمزامير والقصاب ومهضومة والهاضم والشياع والمنبوقة والهبرعة والكهكهة والبوق والطبل والضفاطة .

---

(١) المخصص ١٣/١٠ ، ١١ .

(٢) المخصص ١٣/١٠ ، ٨١

(٣) المخصص ١٣/١٤ ، ١٥ .

د ـ البيت ومتاعه : (١)

ذكر في هذا الباب أنواع البيوت التي يتخذها الناس فتناول غرف البيت وسقائفه وهياكله وكنس البيت وترتيبه ومتاعه فذكر أنواع الفرش وما يتخذه الناس في تلك البيوت لذلك :

فالمشجب : من خشب توضع عليه الثياب .

والمشجر والسهوة: وهي ثلاثة أعواد أو أربعة يعارض بعضها على بعض ، ثم يوضع عليها شيء من الأمتعة .

والحفش : وعاء نحو السفط تجعل فيه المرأة دهنها .

والدرج : سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها .

والصيهور : يشبه المنبر يعمل من طين أو خشب يوضع عليه متاع البيت من صفر أو نحوه

والقعيد : يكون فيها القديد والكعك .

وعندما أورد ما يؤكل عليه ذكر : المائدة والخوان والدبق والفاتور والقذمور : وهو خوان من فضة ، والدسيعة : وهي مائدة الرجل ، والطبق والطربان والمهدي . وصبير الخوان : رقاقة عريضة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام ، والوضم : ما وضع عليه الطعام ليؤكل ثم ذكر أنواع الطعام وطرق معالجتها .

أما في كتاب اللباس (٢) فقد تناول أنواع ما يستعمله الرجال والنساء فتناول الرفيق منها فورد السبوب والسب والسبيبة والشف واللهة والنهنهه وهلهل وهلهال وملمس وهفاف ومضلع والفوف وخفيف والشمرح والسكب والقصب ثم تناول الكثيف منها فذكر المخطط والمستهم والبرد المفوق والمرسم والمعضد والمبرد والمسير والمنمق والثوب المبرج والثوب المصلب وذكر الموشى والمكعب والمخلب والكثيرالوشي ثم القماش فذكر القز والخز والحرير والقطن والكتان .

ولما تناول ما يفرش ذكر البسط والنمارق والفرش وأنواع الستور والديباج والملاحف والطيالسة والأكسية والفراء والقلانس والعمائم والسراويل والتبان والقميص وما فيه ، ووصف بعض متاع البيت فقال :

---

(١) المخصص ١١٥/٥ ـ ١٣/٦ ، ١١/٥ ، ١٢ .

(٢) المخصص ١٥٤/٣ ـ ٣٦/٤ .

الصوان : وهو كل شيء رفعت فيه الثياب من جونة أو تخت أو سفط او غيره .
ثم انتقل ليذكر طي الثياب ونشرها فقال أطواء الثوب: طرائقه ومكاسر طيه، والمكعب : الثوب الشديد الادراج وقيل هو المطوي مربعاً .

ومما يستعمل من غير الثياب ذكر الجلود (١) فذكر سلخها ودباغتها وقشرها ووسائل علاجها وما يتخذ منها فذكر النعال والخفاف وأدوات الخرازة والخصف.
وذكر المعدنيات كالذهب والفضة والصفر والرصاص والحديد وضرب الدراهم والدنانير وآلات ذلك وذكر نقدها ووزنها واذابة الذهب والفضة .

وذكر عمل الانسان(٢) والصناعات والتجارة والموازين والمكاييل والدين وفك الرهن والكفالة والوكالة والغرم والمؤاجرة والاكتراء والكسب والاسحات في المكاسب والاختزان والادخار .

هـ — النساء (٣)

أفرد للنساء كتاباً تناول فيه كل ما يتعلق بهن : نعوتهن الحسنة والسيئة ونعوتهن في مشيهن وجلوسهن وكلامهن وسائر صفاتهن وضروب لباسهن وأنواع حليهن .
فمن ذلك ذكر الكدون : وهي الثياب التي توطيء بها المرأة لنفسها في الهودج ، وهي أيضاً الثياب التي تكون على الخدود واحدها كدن .
وقيل هي عباءة أو قطيفة تلقيها المرأة على ظهر بعيرها ثم تشد هودجها عليه ، وتثني طرفي العباءة من شقي الهودج وعلى مؤخر الكدن ومقدمه فيصير مثل الخرجين تلقي فيها برمتها وغيرها من متاعها .
والأتب : ثوب تشقه المرأة وتلقيه في عنقها من غير كمين ولا جيب .
والقنيعة : خرقة تخاط شبيهة بالبرنس يلبسها الصبيان .
والرهاط : وهو أديم يقطع كقدر ما بين الحجزة الى الركبة ثم يشقق كأمثال الشرك تلبسه الجارية بنت السبعة .

---

(١) المخصص ٦٣/٤ — ١٠٥ .
(٢) المخصص ٢٥٦/١٢ — ٢٨٨
(٣) المخصص ١٥٤/٣ — ٣٤/٤

ومن حليهن : (١) الفتخ : خواتيم النساء التي يلبسنها في الأصابع من اليد أو الرجل واحدتها فتخة ، وقيل الفتوخ خواتم بلا فصوص كأنها حلق الواحدة فتخة ، وكل خلخل لايجرس فتخ :

والقفاز :ضرب من الحلي تتخذه المرأة في يديها ورجليها، ومن ذلك قيل :تقفزت المرأة بالحناء نقشت يديها ورجليها.

والكبيس :حلي يصاغ مجوفاً ثم يحشى بالطيب ويكبس:

والشعيرة :حلي يصاغ من فضة كالشعير.

والارنب :حلي يصاغ على بعض الشعر:

ثم ذكر أنواع اللؤلؤ والمرجان، فذكر الزبرجد والزمرد والثوم والدرة والمهاة والقداس والشذر وأنواعاً أخرى.

وفي طرق تزين النساء ذكر النقريس :وهو شيء يتخذ على صنعة الوردة تغرزه النساء في رؤوسهن.

والفاشرة :التي تفشر عن وجهها بالدواء ليصفو لونها. ومن أدوات الزينة ذكر المرآة وأسماءها، والمشط وأسماءه أيضاً .

و ـ الحرب والسلاح

ذكر في كتاب السلاح (٢) كل ما يتعلق بذلك فذكر أسماء السيوف وأسماء الرماح والسكين والقسيّ والأوتار والسهام. وذكر صناعتها والاعتناء بها. ومما ذكره فيما يتعلق بالسلاح والتدريب على استعماله الدريئة :وهي الجلعة التي يتعلم الرامي عليها.

والقرطاس :أديم ينصب للنضال.

والوتيرة :حلقة يتعلم عليها الطعن.

وقال عن الطراق :الحديد الذي يعرض ثم يدار فيجعل بيضة أو ساعداً أو نحوه، فكل صنعة على حدة طراق:

---

(١) المخصص ٣٤/٤ ـ ٥٩ .

(٢) المخصص ١٦/٦ ـ ٧٩ .

والمطيلة : اسم الحديدة التي تمطل من البيضة ومن الزبرة تمد .
والحسك : من أدوات الحرب ، ربما اتخذ من حديد وألقي حول العسكر وربما اتخذ من خشب فنصب حوله .

والدبابة : التي تتخذ للحرب ثم تدفع في أصل حصن فينقبون وهم في جوفها .
والضبر : جلد يغشى خشباً فيها رجال يقرب للحصون لقتال أهلها .
وذكر أسماء الدروع والبيض والكنائن ، والتراس واصوات السلاح وأبواب القتال .

ز — مايحتاجه الناس في تنظيم حياتهم :

الانسان لايستطيع ان يعيش وحده مستقلا عن غيره ، ومن هنا ظهرت المعاني الانسانية بينهم ففي الغرائز(١) ذكر أحاسيس الناس وخصالهم الحميدة والذميمة فتناول السخاء(٢) والمروءة والبخل والندم والعقل والرأي والذكاء والفطنة واذاعة السر والخيانة ، وذكر الاصلاح بين الناس والعطف عليهم وسبب الافساد بينهم ، وذكر الطعن على الرجل واعظامه واكرامه والمفاخرة . والمؤانسة والنصيحة والمبايعة وذكر العفو والعقاب والتمسك وأعمال البر والايمان والرشد والهداية والوضوء والأذان والصلاة والدعاء ، وذكر الرحمة والرهبانية وغيرها .

وأنهى كتابه باجزاء أخرى(٣) منه عن قضايا نحوية وأحكام صرفية ، بتفصيل كثير من تلك القضايا . وكأنه أراد أن يعطي القواعد العامة التي يحتاجها الكاتب حينما يريد أن يعبر عن كل تلك الشؤون بلغة عربية سليمة ولعله أحس أيضاً أن من متممات هذه المظاهر الحضارية اهتمام الانسان بلغته لأنها الأداة التي يعبر بها هذا الانسان عن فكره والعلوم التي يحملها والفنون الأخرى .

---

(١) المخصص ١٤٨/٢ — ٩٦/٣ .
(٢) المخصص ٨٣/١٣ — ١١٠ .
(٣) المخصص ١٦٩/١٣ — ٩٥/١٥ .

النتائج :

لم نفصل القول في كل ما عرضه الكتاب من حاجات الناس ، والانسان يستطيع أن يتبين مظاهر أخرى تعبر عن جوانب أخرى من الحضارة الانسانية التي حملها العرب في حياتهم ولكن مما عرضناه يتبين للقارىء المعالم العامة لتلك الحضارة وخاصة في بلاد الأندلس ، فإن الحضارة بقيت هناك قروناً متعددة بكل جوانبها ، مسجلة في معجم المخصص وخير شاهد على ذلك ما خلفوه في ارض الأندلس من آثار رائعة ، وحدائق غناء ، وعدد من المخطوطات التي ما زالت مكتبات اسبانيا تحتفظ بها ، وهي في كل علم وفن ، وما خلفته لغتهم أيضاً من تأثير على اللغة الأسبانية حتى يومنا هذا.

ومما عرضناه أيضاً نستطيع أن نتعرف على قوة اللغة العربية وقابليتها على الاستجابة للتعبير عن كل ما يريده الانسان من حاجات ، واستجابت لكل جديد اذ استعارت له كلمات تعبر عن معانيها ، ويظهر ذلك من الألفاظ الكثيرة التي استعملوها في الطب والزراعة والفلك والحرب وحاجات الناس الخاصة.

وهي قادرة اليوم أن تعبر عن كل علم وفن بدليل سعتها وطرق نموها عن طريق الاشتقاق والتوليد والتعريب كما ذكرنا . وبدليل ماتركته في لغات اوربا من ألفاظ وعبارات يعبر بها الآن عن فنون المعرفة.

المصادر

انباة الرواة ـ القفطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم مصر ١٩٥٠
بغية الرعاة ـ السيوطي ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مصر ١٩٦٤
جذوة المقتبس ـ الحميدي ـ مصر ١٩٦٦
الصلة ـ ابن بشكوال ـ مصر ١٩٦٦
فهرسة ما رواه عن شيوخه ـ ابن خير ـ مصر ـ
لسان الميزان ط٢ ـ ابن حجر ـ بيروت ١٩٧١
المخصص ـ ابن سيدة ـ
معجم الأدباء ـ ياقوت ـ مصر ١٩٢٨
وفيات الاعيان ـ ابن خلكان بيروت